الجزء الخامس
الفصل التاسع

راحت سلمى تخوض معارك نفسية رهيبة ضد ذلك العدو الجبار.. وشـدت أفراح قلبها وآلامه بهبوط وارتفاع سجلّ الحرارة المعلّق على سرير أختهـا المجاور لها..

أثّرت برجاء وعكة السفر واختلاف المناخ، ومرت بها أيام وليال قاسية بدد قلب سلمى شعاعا.. انها تتمزق لكل نوبة سعال وهي تـروح لهـا وترفـع للسماء طرفا مغرورقا.. وكثيرا ما كانت رجاء تنبه خلال حماهـا الناريـة فتبتسم وتمد ذراعيها تطوق عنق أختها وتقبلها فتشعر أن اللهب يحرقها..

- لا.. لا أبدا.. لن تصبح في يوم أما.. لقد جربت ما فيه الكفاية.. عانـت السهر الموحش والقلق المضني والأسى اللذيع.. أجـاءت بهـا الأقـدار لتموتٍ بين ذراعيها!

ودخل يوما كريم الغرفة زائرا.. وكان قد انتقل من المصح وتبـع الطبيـب الأول.. وداهم سلمى موجة من الإنقباض وهو ينظر الى رجاء وقد توسدت صدر أختها معانقة اياها.. وانحرف بعينيه الى سلمى مستفسرا فأجابت:

- انها أختي!

وبان في وجهه أسى غريب وهو يلقي بناظريه الى سجلّ الحرارة ويغمغم:

- مسكينة! وأجابته سلمى بإباء:

- أرجوك يا كريم! المسكين من لايحتمل.. ورجـاء مـستعدة أن تحتمـل الصعوبات ويشعشع في صدرها الأمل في التغلب عليها..

وفترت حدة الحمى بعد أسبوع، واستطير قلب سلمى فرحـا فمـا تـرى الاّ مشغولة بما يبهج خاطرها ويتركها في نفسية مريحة.. وانطلقت رجاء كطفلة مدلّلة تمرح كسمكة في الماء وعادت اليها شيطنتها، فما تراها سلمى تتوثـب في الحديقة وبين الشجر تلاعب الصغيرات من المرضى حتى يغمـر قلبهـا

فرح مشوب بقلق واجف.. وتقفز من النافذة التي تـسلقتها لتركـب شـريط "الأنتيل" للمذياع الأبيض الصغير الذي اشترته لها..

ولم تنته القلاقل في المصح حتى أودت بالطبيب الجديد، وبثلة الممرضـات ليحل محلّهم آخرون.. وكان الطبيب الوافد طريفا حقا.. كهل معتدل القامـة عضلي الجسم أسمر اللون مهيب الطلعة.. وسرعان ما أخمد الفتن وألانـت جاذبيته وقوة شخصيته النفوس المتمردة..

كان له أسلوب طريف في المعاملة.. لا يأمر أبدا ويطاع.. يـرى الحديقـة مهملة النظافة والسقيا، فيستيقظ عند الفجر، وينظفهـا ويـنكش أحواضـها ويسقيها كأحسن ما يفعل البستاني، قبل أن ينبه الحدائقي المسؤول من نومه.. فيعلمه دون أن ينبس بحرف درسا لا ينساه فاذا به في اليوم التالي يفيق قبل الفجر ليقوم بواجبه.. ويرى زجاج النوافذ غير مصقول.. فاذا بـه ينتـزع منديله من جيبه ويقف ليصقله، فتهرع الممرضات والخجل يندي جبـاههن، فيكفّ، ويصقلن جميع النوافذ.. وكثيرا ما رأته سلمى يحمل طستا ومكنـسة وكريكا وهو يمر بغرفتها، ولا ينسى أن يسلّم، ويسلّم بحرارة.. وكثيرا مـا يدخل ويجلس على طرف سرير رجاء يدللها بمختلف الأسماء..

- ان رجاء اسم جميل.. أي شيء يدانيه في الأسماء!.. سئل أحدهم ما هـو أملك في الحياة فأجاب "أن يكون عندي أمل!" مرادف الأمـل رجـاء.. كانت أختي تدعى بهذا الإسم وأسميت به ابنتي..

وكانت سلمى تعلم أنه لا يصدق.. فأساليبه تعرفهـا وتتقنهـا هـي نفـسها، ويردف:

- إسمعي هذه النكتة.. لقد تذكرتها الآن وأنا أمر من باب الغرفة، ويقـذف بنكتة حارة ويردف والضحكات لا تزال تجلجل:
- سأحول الغرفة المجاورة الى مطعم وسندعوه مطعم رجاء.. فأنا أعلم لم تفضلان تناول الطعام في الشرفة أو الغرفة.. المطعم بعيد وحـشر ولا يدخله نور كاف.. تعالي معي لنرى رأيك في حسن انتخابي..

- ويمسك بيدها ليريها المطعم الجديد.. يا لمهارته! لقد عـرف موضـوع هوى سلمى فجعله موضوع اهتمامه.. وهكذا يلين النفوس ويقضي علـى التمرد.. أتراه يظن أن سلمى هي رئيسة المتمردات؟

وكثيرا ما يدخل وهو يحمل باقة زهر: "ان رجاء تحب الزهور لتضعها على المائدة فتفتح شهيتها.. أليس كذلك يارجاء؟

وكانت سلمى منشرحة الصدر بادية السرور فما يسدي اليها أحد جميلا أجلّ من عنايته برجاء وإدخال السرور الى قلبها! وكان الطبيب الذي سـبقه قـد نقلها الى غرفة صغيرة تسع ثلاثة أسرة حين أخبرته بمقدم أختها.. ووضـع فيها طاولة صغيرة لتكتب عليها حتى لا تلجأ في الأمسيات الى المخبر، ولقد اشترت سلمى لها غطاء مطرزا وضعت عليها كتبها وأوراقها..

ولكن مقام الطبيب الذي حظي بإعجاب جميع المرضى والعاملين في المصح لم يدم طويلا.. وفي يوم دخلت سلمى مكتبه لترد على مخابرة هاتفية.. وكان هناك شاب فارع رقيق الجسم أزرق العينين واسعهما صغير الفم والأنـف.. وعرفت أنه الطبيب الجديد الذي أرسلته الوزارة ليحلّ مكان القديم في رئاسة المصح..

وأحست سلمى بعدم الإرتياح.. تريد أن تطمئن على رجاء بين أياد خبيـرة، فما بالهم يبدلون ويغيرون وكأن مصير المرضى لا يهمهـم فـي شـيء.. وكأنهم أدوات لا تبالي بالإطمئنان والألفة..

ولكن سرعان ما غيرت رأيها فيه.. أوحى لها الثقة برزانته.. وتبع أسـلوب سلفه بالإهتمام برجاء على طريقته الخاصة الخجولة الرقيقة.. وغدا سريرها منتدى ثقافيا كل ليلة لتبادل الآراء والأفكار يلتف حوله الطبيـب وسـلمى، وتشاركهما أحيانا رئيسة الممرضات الجديدة التي جاءت معه مـن حلـب، الآنسة بشرى التي كانت تشيد بمهاراته الطبية، وممرضة ذات نزعة شاعرية تحمل في جيبها دفترا صغيرا تنقل فيه أشعارا لنزار القباني وسليمان العيسى وغيرهما.. وتدعى الآنسة سنية

* * *